معبد سيّدة القلمة في بلاد عكار

لمحة تاريخيّة للاب يوسف غودار اليسوعي

معرَّبة بقلم نجيب باخوس (تتمَّة لما سبق)

٤ التقليدات المحلية

ان اقدم حادث يتذكَّرهُ شيوخ بلاد عكّار عن حماية سيّدة القلمة يرتقي الى اواسط شهر كانون الاول من سنة ١٨٠٠ وذلك انَّ رجلًا يدعى حنا صافي كان يحتطب مع ولد لهُ حديث السن في وادي منجس تحت خرائب قامة قليس اذ هبَّ إعصار شديد يندر حدوث مثلهِ على قمة تلك الرابية ثم عقبهُ مطر مدرار. فاستند الحطّاب الى بعض الاشجار الدانية وتمسَّك بها لئلا تتلاعب بهِ الزوبعة. واماَّ الصبي فانَّهُ كان قائمًا على ضفة الساقية فطمت مياهها وتعاظمت فجأةً فاقتلعتهُ من مكانهِ وسارت بهِ مسرعة

فلمَّا بصر بذلك والدهُ المسكين اخذ يبكي وينتحب ويركض باحثًا عن فلذة كبدهِ. ولكن اذ رأى ان كل مساعدة بشريّة اضحت لا تجديه نفعًا وجَّه ابصارهُ نحو آثار سيدة القلمة وابتهل الى صاحبة تلك الاطلال مستغيثًا بها في انقاذ ولدهِ وقد نذر على نفسهِ اكرامًا لها ان يقوم كل سنة في اليوم الثامن من شهر ايلول بتقديم الطعام للزوّار على نفقتهِ الخاصّة ان خلّصت ولدهُ من الغرق. وما فرغ من نذرهِ حتى سمع سكّان قرية مجاورة قائمين على المنحدر المقابل « للنهر الكبير » يبشرونهُ بنجاة ولدهِ. وكانت المياه قد سارت بهِ بين الصخور واللجج الى مسافة ٤٠٠ متر او تزيد. فصعد لساعتهِ حنا المذكور وولدهُ الى معبد السيدة وجدَّد هنالك نذرهُ ملزمًا بهِ نفسهُ ما دام هو وولدهُ في قيد الحياة

وقد قام بوفاء هذا النذر مدة حياتهِ كلها وعند مماتهِ اوصى ولدهُ ان يستمرّ على وفائهِ بعدهُ كل عام. فحفظ الصبي وصية ابيهِ الاخيرة واقتفى آثاره. فكان كل سنة في اليوم المذكور يأتي سيدة القلمة محرضًا الزوّار على العبادة والتقى نحوها ومحافظًا على راحتهم ومسرتهم وقائمًا بتقديم ما يحتاجون اليهِ هنالك

في اليوم السابع من شهر ايلول لسنة ١٨٢٨ حيث كان الزوّار قد توافدوا من كل صوب حسب العادة وجدوا ان البئر قد نضبت مياهها فخالج فؤاد ابن حنّا صافي من جرَّاء ذلك كدرٌ لا يوصف وهمٌّ شديد واصبح مرتبكًا في امرهِ لا يعلم من

اين يستقي في الغد للقوم الوافدين. فبعد ان اجتمع هو والمأسوف عليه الخوري يوسف بطرس خادم قرية منجس وتخابرا ملياً بهذا الشأن ارتأى كلاهما ان يُنقل الماء من الوادي الى محل الزيارة رغماً عما يقتضيه الامر من المشاق

واذ جنّ الليل بينما كان الزوّار يترنمون جرياً على عادتهم بطلبة العذراء وسط تلك الاخربة البالية انفرد عنهم ابن صافي المذكور واتجه نحو البئر اليابسة فحدّق اليها طويلاً ثم هبطها فوجدها لم تزل على نضوبها فصرخ اذ ذاك عن ايمان حارّ قائلاً: « ايتها السيدة أتحرمين الماء عبيدك هؤلاء الزوّار الذين ينشدون الان مديحك وقد أتوا لحفلة عيدك من اطراف بعيدة جداً ؟ » . قال هذا وهمّ بالرجوع اليهم حزيناً. ولكن ما عتم ان انقلب كدرهُ الى فرح فان البئر الناضبة امتلأت على فور ماء عذباً فاخذت الشابّ هزةُ الطرب وبدأ يهتف هتاف الحبور والتهليل ويطلق بندقيّتهُ في الهواء طرباً وسروراً. فعجب الزوّار بذلك واشفقوا من ان يكون قد طرقهم عدوّ. لكنهم لمّا عرفوا بصحّة الخبر وذاقوا ماء البئر الذي لم يذوقوا مثلهُ قط طار فؤادهم بذلك فرحاً وجثوا جميعهم على وكبهم واخذ ذلك الكاهن الغيور (الذي من فرط ما قد سرّهُ هذا الامر ابكاه) يتلو نيابةً عن الحضور عبارات الشكر وافعال الامتنان لهذه السيدة لما جادت به على عبيدها من النعم واظهرت لهم من الانطاف والرحمة

وبعد مضيّ يومين على هذا الحادث وارفضاض جمهور الزائرين رجعت تلك البئر فنضبت مياهها كما كانت

ولم يمضِ على ذلك اربع سنوات حتى اظهرت البتول الاعجوبة الآتية. وهي انهُ بينما كان الزوار نياماً متفرقين بين تلك الآثار الدارسة في ليلة اليوم الثامن من شهر ايلول لسنة ١٨٣٢ ظهرت ليلاً على ذلك المذبح الحقير أنوار بيضاء شديدة اللمعان. فذُعرت الجياد واخذت تصهل صهيلاً متواصلاً. فاستيقظ اذ ذاك الجميع واخذهم دهش لا يوصف اذ بصروا بتلك الانوار الغريبة. امّا الاولاد والنساء فاعتراهم خوف شديد وعلا الضجيج والصراخ من كلّ صوب وناحية. فصاح بهم الكاهن أن « لا تخافوا فإنّ هذه الّا انوار السيدة عليها السلام فلنصلِ اليها ونطلب المغفرة من مراحمها العظيمة »

ثمّ اخذت تلك الانوار تتضامُّ الى بعضها على مرأى من هذا الجمع المبهوت

حتى صارت كعمود من النار قد استوى قائماً على المذبح يطح التمام برأسهِ. ثمَّ اتخـذ شكل صليب متألق لامع ثمَّ ما عتم ان صار شاحباً ثم ضرب لونهُ الى الاصفرار وغاب عن البصر عند انبلاج الفجر (١

٥ الترميم الاول

ثمَّ ظهرت في ذلك المعبـد من سنة الى اخرى آيات عظام ومعجزات باهرة حتى كأن البتول قد أرادت بذلك ان تثبت اولئك الزوار في ايمانهم الحارّ وان تحفظ عادة هذه الزيارة من الاهمال الى اليوم الذي اندفع فيهِ واحد من سكَّان تلك الديار فاخذ على نفسهِ ترميم هذا المعبد وتجديد بنائهِ على حين لم يكن ليؤمـل منهُ ذلك. على ان الجميع منذ زمان طويل كانوا يرغبون من صميم الفؤاد القيام بهذا المشروع بيد ان ضيق ذات اليد عن النفقات اللازمة لانجازهِ كانت تحول بينهم وبين تحقيق امنيَّتهم

ولكن تلك العذراء القادرة الحنونة التي اذ فرغ الخمر من عرس قانا الجليل لم تألُ جهداً ان سمت شافعةً باولئك المعوزين لدى ابنها الذي قبل شفاعتها بهم وانعم عليهم بتلك الخمرة الحالة لم تخيّب آمال عبيدها وأبتْ الّا ان تحقق ما كانوا يتمنَّونهُ ويرغبونهُ من سنين عديدة فأوحت الى بعض الفقراء المعدمين ان يرمم ذلك المعبـد ويجدّد بناءهُ. ودونك تفصيل الخبر

كان رجلٌ من سكَّان قرية منجس يدعى بولس الخوري سليمان قـد أصيب سنة ١٨٧٢ بمرضٍ عضال اشرف معهُ على الموت فوهنت قواهُ وتراخت اعضـاؤهُ فاصبح كمخلّع لا يستطيع حراكاً بالرغم عمَّا بُذل لهُ من الاعتناء في تمريضـهِ بل ذهبت كل العلاجات ادراج الرياح والداء على ازدياد ينهكهُ نهكاً فقضى العليل على هذه الحالة اعواماً عديدة يتقلب على فراش الاوجاع والآلام واشتهر امر مرضهِ لدى سكَّان تلك الناحية

١) قد روى هذه الحوادث كلها ابراهيم افندي الخوري بحضرة كلّ من نسيم افندي الخوري والابوين الفاضلين الخوري ميخائيل والخوري يوسف خادم قرية منجس. وابراهيم افندي المذكور الذي شاهد بنفسهِ الاعجوبة البتر في صباهُ هو اليوم شيخ قرية منجس يجلهُ جميع السكان من مسيحيين ومسلمين ويحسنون الثقة بهِ. وقد اظهر في بناء المعبد الجديد من الحمية والنهضة ما يوجب الشكر لهُ فانهُ كان يأتي كلّ يوم من منجس الى سيدة القلعة ليشاهد بنفسهِ اعمـال البناء. وكثيراً ما كان يذرف العبرات تأثراً من العجائب والمعجزات التي اظهرتها البتول في معبدها

حتى لم يعد يسمى الّا « بالمريض ». ولمّا عرف مريضنا انّ الاطبّاء قد عجزوا عن شفائهِ وفنيت فيهِ حيلهم وجّه ابصارهُ وآمالهُ نحو سيدة القلعة التي كان قد زارها مرارًا وسمع بمعجزاتها وآياتها الباهرة فتوكأ على ذراع بعض اصحابهِ قاصدًا معبدها القديم الذي لم يصلهُ الّا بشقّ النفس. فجثا هنالك ورفع ذراعيهِ نحو البتول قائلًا لها: « ايتها السيدة الرؤوفة التي تمطرين نعمك في هذا المكان المبارك اني استحلفك بابنكِ يسوع ان تنعمي عليَّ بالشفاء التامّ وتردّي لي صحتي المفقودة فاني لا اغادر معبدك هذا قبل ان يغادرني المرض. على اني اعدك اذا استجبت طلبتي ان اقضي باقي ايامي واستخدم ما تكونين قد وهبتنيهِ من القوى المتجدّدة في سبيل بناء معبدك هذا »

وبعد ان صلى طويلًا بهذا الايمان الحي اضجع بالقرب من المذبح ونام (١ واذ افاق من رقادهِ شعر بانهُ قد ابلَّ من مرضهِ تمامًا. فقام من ساعتهِ وعاد الى قريتهِ مردّدًا آيات الشكر للبتول التي عطفت عليهِ وشفتهُ من مرض قاسي مضضهُ زمانًا طويلًا. وكان لهذا الحادث العجب شأنٌ عظيم بين قاطني بلاد عكّار الذين عرفوا « المريض » ومرضهُ العضال فكان ذلك سببًا آخر لزيادة انتشار العبادة نحو سيدة القلعة والاعتقاد بقدرتها العجيبة

ثم انهُ ما عتمّ « المريض » ان انجز ما وعد بهِ فانهُ رجع في مساء ذلك اليوم الذي حصل فيهِ على الشفاء الى تلك الآثار تاركًا وطنهُ منجس ومغادرًا زوجتهُ واولادهُ الاربعة مستصحبًا ما لا غنى لهُ عنهُ من الادوات عازمًا على الاقامة وسط تلك الآثار البالية واقفًا نفسهُ بتمامها لخدمة هذه السيدة المعظمة. واخذ يعنى ويهتمّ من ذلك الحين بان يشيّد فوق تلك الآثار معبدًا فسيحًا. فابتنى لنفسهِ كوخًا صغيرًا ثمَّ بدأ يستنهض همم ذوي الخير والاحسان من السكان المجاورين ويستمطر سحب اكفهم ويجمع ما يجودون بهِ عليهِ من الدريهمات والحنطة والذرة حتى انّهُ تمكّن من الشروع في البناء يوم عيد البشارة الواقع في ٢٥ اذار سنة ١٨٧٧. وقد اعترضهُ في سبيل هذا المشروع عقبات عديدة وصعوبات متوالية غير ان العذراء كانت تفرغ على فؤادهِ الحزين ماء

١) وفي مقالة ارسلها الينا المعلم الفاضل ابراهيم افندي عبد الجليل ما نصّهُ: « ونام المريض تحت انظار البتول التي ظهرت لهُ على شكل ملكة جليلة القدر جيّدة المنظر »

التعزية والسلوى وتلهم اصحاب الخير مساعدتهُ وتظهر الآيات المثبتة برضاها عن مشروعهِ الصالح (١

ثم بقي « مريضنا » متمكناً وحدهُ على بناء المعبد الى ان قيّضت لهُ العناية الالهيَّة مساعدة لم تكن في حسبانهِ

وهي انَّهُ كان في قرية الدبابيَّة التابعة قضاء الحصن امرأة تدعى خزما ابنة بركات وكانت تفكر من زمن طويل في ان تخصص ذاتها لعبادة الله في بعض الاديرة ولمَّا علمت بمشروع « المريض » وأت من نفسها ميلاً الى الانقطاع لخدمة سيدة القلعة فاقبلت في سنة ١٨٧٨ الى فناء هذا المعبد وقدَّمت للبتول اعمال يديها وما تملكهُ من دراهم وأرزاق واخذت تجوب بنفسها البلدان المجاورة وتجمع ما تبرَّع بهِ المحسنون لبناء معبد سيدة القلعة . وبالرغم عن ضيق ذات اليد كان كل مؤمناً كان او غير مؤمن يجود بما تمكّنهُ منهُ حالتهُ مرتاحاً الى ما كانت تقصهُ عليهِ هذه المرأة من معجزات السيدة وآياتها الباهرة

وكانت البتول عليها السلام ترعى خادمتها النشيطة وتحفظها من الطوارئ والملمات فانها كانت تبدي من الجراءة والإقدام ما يذهل العقول اذ كانت تسري ليلاً في تلك الديار وتنتقل من مكان الى آخر وتجمع الصدقات وتعرّض بنفسها لانواع المهالك وضروب الاخطار . واذ كانت يوماً (في ٢٣ ت ١ سنة ١٨٩٤) راجعة من مزرعة « تليل » (على بعد ساعتين من سيدة القلعة) بصرت بلصين كامنين لها في قعر وادٍ عميق يريدان ان يوقعا بها ويسلباها ما كانت قد جمعتهُ من الدراهم بشقّ النفس . فاشتدَّ خوفها جدًّا واستغاثت بسيدة القلعة ثمَّ مرّت بجراءة بين هذين اللصين اللذين التصقت اجسامهما بالحضيض فمادا لا يقويان على ان يبديا حراكاً . وبعد ان سارت عنهما بعض خطوات خاطبها احدهما بقولهِ :

علامك يا ابنيَّة علامشْ باالله عليك ايشو دينك علامشْ

١) ومما يخبر انَّ ولدًا صغيرًا لامرأة تركانية من الفربديس أُصيب بمرض عضال عجز الاطباء عن شفائهِ . فلما ايست امّهُ من حياتهِ نذرت لسيدة القلعة كبشاً تقدمهُ لها ان عافاهُ الله . فلم يمضِ ردح من الزمن حتى ابلَّ الولد من مرضهِ . لكن الأمّ تناقلت عن وعدها و باعت الكبش فاتاها الله بان اضلَّت وحيدها ولمَّا طلبتهُ وجدتهُ عند معبد سيدة القلعة وكان عمرهُ لا يتجاوز السنتين فعرفت ان سيدة القلعة ناقمة عليها لحنثها بوعدها وما لبث الولد حتى مات بعد قليل

سحّاره الّا مكّاره علاش كنّك سحّاره تفكّينا الّا خربت بيوتنا على حشابه

فاجابتها خزما: « قد اخطأتما فاني لستُ بسحّارة ولا مكّارة ولكني خادمة سيدة القلعة ». فقالا لها: « عهد الله وميثاق الله ما تأتي صوبكِ ونوصي ولد ولد ولدنا صوب الولي ما يأتي :

ثمّ ان خزما لم تكن مقتصرة من خدمتها على السعي في جمع الصدقات لبناء المعبد فقط بل كثيرًا ما كانت تعنى بخدمة الزائرين ومساعدة البنّائين ومع ذلك لم تكن تنقطع هي « والمريض » عن الصلاة حتى في اوقات الشغل والعمل مستمطرين معًا غيوث المراحم العلويّة والبركات الالهيّة . وكانا يصومان يوميًّا اكرامًا لسيدة القلعة ويقتصران نهار السبت على اليسير من الخبز والماء.

وبعد ان تجشما من الخاطر والاهوال اشدّها ولقيا من المصاعب والمتاعب اعظمها وامرّها تمكّنا في غرّة نيسان لسنة ١٨٧٨ من انجاز بناء هذا المعبد الحقير المبني بدون كلس او جص فسُرَّ بتشييده سكّان تلك الديار وطابت به قلوبهم اذ لم يكن لذلك العهد في قرية من قراهم معبد خليق بعبادة الرب القدير (١

فاخذ الزوّار عندئذٍ يتقاطرون من كل صوب الى معبد البتول الذي قام حديثًا فوق تلك الآثار البالية وهم ينظرون اليه بعيون تبرق جزلًا وحبورًا ويخفّون اليه بقلوب تخفق فرحًا وسرورًا وقد كثر عددهم حتى اضطرّ « المريض » ورفيقته ان يلحقا بالمعبد المذكور منزلًا حقيرًا قسماهُ الى ثلاثة مساكن يأوي اليها الزائرون القادمون من الاطراف البعيدة. ثمّ اخذ المريض يسعى بعد ذلك في ان يجد كاهنًا يقيم هنالك دائمًا لاقامة الذبيحة الالهيّة واستماع اعترافات الزائرين ومناولتهم خبز الحياة ايّ وقت ارادوا ذلك. فوجد قسيسًا من الرهبنة البلديّة المارونيّة عهد اليه هذه الخدمة موقتًا فتضاعفت باقامته هنالك اعمال البرّ والتقى وكثر عدد المتقربين الى مائدة الخلاص

ثم انّ المريض ابتاع على مقربة من المعبد قطعة ارض حجرة دفع ثمنها مما كان قد جمعهُ من الحسنات والصدقات ومما كان قد اكتسبهُ بعمل يديهِ واخذ يعنى على قدر الامكان باصلاح هذه الارض وتحسين تربتها. ولم يكتفِ بذلك بل كان يسعى ايضًا بتربية النحل

(١) اعلم ان المريض وخزما بنيا هذا المعبد من الحجارة الكبيرة التي كانت مبنية منها قلعة قليس. من جملتها عتبتان كان حُفر عليهما رسم الصليب المقدس

وبرعاية قطيع من الماعز يرعى فيه في تلك الارض التي ابتاعها . فهذا كل ما كانت تملكهُ هذه السيدة ولم يكن احد ليجسر ان يمسَّهُ مع انَّ تلك الاصقاع يسكنها قبائل شتى متباينة الجنس والاخلاق قد طُبع كثير من اصحابها على النهب والسلب وشنّ الغارات. ولكن السيدة ابت الّا ان تحافظ عن املاكها اشدّ المحافظة وان تعاقب من يجسر ان يمسها بضرر ما . وعليهِ فلم يحدث قط هناك حادث سرقة البتة . وسكّان تلك الديار يعزون ذلك الى عناية السيدة ويتخذونهُ برهاناً قاطعاً ودليلًا ساطعاً على مقدرتها

ويروى حوادث شتى مذهلة عمن انزلت بهم السيدة العقاب لانهم مدّوا ايديهم الى ما هو مختصّ بها نكتفي منها بذكر ما يأتي:

وهو انَّ رجلين من التركمان يدعى احدهما عباس حريك والآخر عمر بن حسن قدما ذات يوم ليتفرجا على معبد السيدة الحديث فوقعت عين احدهما وهو عباس على حبل ومنجل في زاوية المعبد فدفعهُ الطمع الى ان سرقهما . ثمَّ همَّ بالخروج فلم يستطع الى ذلك سبيلًا اذ لم تعد تبصر عيناه باب الكنيسة الذي دخل منه وبقي على ذلك بضع دقائق يدعوهُ رفيقهُ من الخارج وهو يتجسس في الظلام دون ان يقوى على التملُّص من يد تلك السيدة القويَّة. فاستولت عليهِ رعبة شديدة لم يُيسّرَ عنهُ حتى رمى بالحبل والمنجل الى الارض فبان لهُ اذ ذاك باب الكنيسة فخرج منهُ مسرعاً لا يلوي على شيء (١

وقد شاع ذلك عن هذه السيدة حتى ان اهل تلك البلاد على اختلاف اديانها تعتقد ان في بسطة هذه الرابية مكاناً مقدساً وتنظر اليهِ بعين الاجلال والاكرام متيقّنة ان السيدة نفسها تعاقب عقاباً اليماً من يجرأ على ان يمسّ معبدها بشيء من الأذى

ولم تزل العذراء تظهر لخادمها الامين المسرَّة من اعماله ومساعيه . الّا انَّهُ هو لم يكن ليكتفي بما صنع بل كان يتوق دائماً الى ان يبني ايضاً لسيدة القلعة معبداً اوسع واشرف ممَّا قد بناهُ لها يزدحم فيهِ الزوّار ازدحاماً حتى يغصّ بهم ويتموّج في فنائها عددهم الغفير . ومجمل القول انَّهُ كان يريد ان تصبح سيدة القلعة كنجم شديد التألق واللمعان ينير بضيائهِ كل بلاد عكار . واخذ من ثمَّ يضاعف طلباتهِ وصلواتهِ اليها

١) قد روى هذا الحادث عمر المذكور وهو يقصهُ على مسامع من اراد . ولمَّا بوشر بتجديد البناء اراد ان يشتغل مع الفعلة اكراماً للسيدة

في هذا الشان بحرارة قلبهِ الملتهب حبًّا لهـذه السيدة الخطيرة لا يأخذهُ فتور ولا ملل ولا يخالجهُ يأس ولا فشل حتى استجابت السيدة طلباتهِ وحقّقت امانيهُ الآئلة لمجد الله الاعظم

٥ الترميم الثاني

وفي تلك الاثناء سمع المرسلون اليسوعيون المقيمون في حمص باخبار سيدة القلعة وآياتها الباهرة بينما كانوا يجولون بلاد عكار لمزاولة اعمال الخير والتقى. فشُغف احدهم وهو حضرة الاب يوسف برنيه بحب هذا المكان منزل العذراء من قديم الزمان واعجبهُ حسن موقعهِ وبهجة مناظرهِ واعتزالهُ عن جلبة الناس وضوضائهم. ولمَّا كانت سنة ١٨٩٢ جمع الاب المذكور كهنة القرى المجاورة قرب معبد السيدة وعمل لهم رياضة روحيَّة وعند انتهائها تقدَّم اليهِ « المريض » واعيان تلك الناحيــة وطلبوا منهُ ان يعير هذا المعبد جانب الالتفات وان يعتني بادارتهِ فصرف شيئًا من همّتهِ لاصلاح شؤونهِ ثم دار في خلدهِ حينئذٍ ان يجعلهُ مقامًا لاعمال الرسالة في بلاد عكار تنبعث منهُ على اهل تلك الانحاء انوار هدًى ساطعة تنير عقولهم وتشيد في افئدتهم عواطف الايمان. الَّا انَّهُ لم يقرِّر شيئًا في ذلك الحين بل مدَّ اليهم يد المساعدة ليبنوا للكهنة محلًّا واسعًا للنوم والاكل ابان الرياضة ومحلاً آخر للاستقبال

على انَّ « المريض » رجع ملحًّا في الطلب مكرّرًا لهُ بحرارة ونشاط حتى أُجيب ملتمسهُ فقدم الى هذا المزار حضرة الاب بطرس رولو رئيس الرسالة اليسوعية العام في سوريَّة فأسرت البتول ايضًا قلبهُ بحب ذلك المعبد العريق بالقدَم حتى اخذ ينشّط حضرة الاب برنيه كل التنشيط الى انجاز ذلك العمل الخطير. فاجاب الاب المذكور بطيب الخاطر الى امر رئيسهِ وبعد ان عيَّن لخدمة هذه السيدة كاهنًا مارونيًا يقيم دائمًا هنالك لاقامة ذبيحة القداس كل يوم شاد على مقربة من المعبد مدرسة لتعليم الاحداث من قرية منجس وعزير والدبابيَّة وكفرنون وغيرها من القرى المجاورة اصابت فيهم اقبالًا عظيمًا وتقاطروا اليها بقلوب ملأى سرورًا وأعلت تلك الرابية بعد ان كانت مقفرة ينعق فيها الغراب الابقع

وبقي حضرة الاب برنيه يواصل الجدَّ والجهد معتنيًا بعمران هـذه النقطة بهمَّة لا تعرف الملل فوسَّع نطاق المدرسة وبنى لها مسكنًا ثالثًا وعيَّن مدرسًا للغة الافرنسية ثم

بنى مدرسة داخليَّة صغيرة لتهذيب وتثقيف من وقفوا ذواتهم لتعليم الاحداث. وكانت البتول تنظر الى اعمالهُ بعين الرضى والارتياح منجِحةً مساعيهِ وممهّدة في وجههِ سُبُل المصاعب

وكانت المعجزات تزداد يوماً فيوماً فجاز ذكر هذه السيدة العجيبة جبال عكار وطار صيتها بعيداً الى كل الاقطار الى ان قام في مكان المعبد الذي بناهُ « المريض » معبدٌ فسيح الارجاء متسع الجوانب حسن الهندسة متقن البنيان قرّت بهِ عيون السكّان وطابت بهِ قلوبهم واعجبوا بزخرف بنائهِ

والحقّ يقال ان هذا المعهد المشيَّد على الطرز المعروف بالطرز الروماني (Style roman) (١ يعدّ الآن في ديارنا من ابهج المعابد واجملها صنعة وبناء ويشهد لبانيهِ بطول الباع في الامور الهندسيَّة بالرغم عما اعترضهُ من العقبات والمصاعب في سبيل بنائهِ كبعد المكان ووعورة الطرق المؤدية اليهِ وصعوبة نقل موادّ البناء

فهو مبنيّ على ضفَّة الخندق الذي مرّ الكلام عليهِ يعلو هامتهُ صليب مرتفع حسن الشكل ولهُ ثلاثة ابواب جُعل فوق الكبير منها تمثال للبتول السيدة وفي داخلهِ نوافذ كلها مزدوجة ذات زجاج مختلف الالوان عليهِ تصاوير ورسوم تتضمَّن تاريخ حياة العذراء الطاهرة عليها افضل سلام. فاذا ما اخترقتها اشعَّة الشمس تلوَّنت في الداخل بالوان زجاجها. وفوق كل نافذة نقوش بديعة تمثّل ضروباً من الازهار وانواعاً من الرياحين. امَّا جدرانهُ فهي مطليَّة بدهان ذي لون قاتم يضرب الى الغبرة مع تموّج تخالهُ اذا تفرَّست فيهِ ألواناً شتى مختلفة. والى تلك الجدران اعمدة ضاربة الى السقف المحدَّب كأنهُ قبة شاهقة فتنعطف ثمّت الى بعضها فيتألف بانعطافها أقواس بديعة المنظر تملك العيون. وقد أنيط الى تلك الجدران صور مراحل درب الصليب كلها ناتئة وهي تمثّل آلام المسيح لاسم السجود وهي بمكان من دقَّة التصوير وطلاوة اللون وبراعة الصنعة وجمال الهيئة

وقد نُصب فوق المذبح الكبير تمثال سيدة لورد دقيق الصنعة بارع المنظر وهو قائم هنالك داخل كوّة حُصِّنت بابراج صغيرة رمزاً الى « سيدة القلعة »

هذا ما رأينا ذكرهُ بوجيز الكلام عن تاريخ هذا المعبد الجليل ولنا الامل الوطيد

١) وهو ضرب من البناء خاصَّتهُ نصف الدائرة

انهُ سيكون في مستقبل الزمان على جبال عكار كنار يرسل على النفوس انوارًا سماويَّة تمدّدها الى الدين الحقّ وترشدها الى ينابيع الخلاص بشفاعة تلك البتول التي جعلت مقامها في قلعةٍ دلالةً على قدرتها وسلطانها السامي عند الله فتخذل من ثمَّ كلّ قوّات الابالسة وتسحق رأس الحيَّة الجهنميَّة وتبذر في قلوب المؤمنين بذورًا صالحة تأتي في اوانها باثمار الخلاص

ولنا ضنين عن ذلك بما نراهُ من عدد الزوّار من مؤمنين وغير مؤمنين الذين يهرعون كلّ يوم الى المعبد الجديد ليستمطروا من فيض مراحم سيدة القلعة غيوث البركات والنعم فينالون شفاء من امراضهم وتعزية في احزانهم وهداية في شكوكهم. وكم رأينا منهم اذا عادوا الى اوطانهم اخذوا معهم دكوةً يملأونها من ماء البئر ليسقوا منهُ ذوي العاهات من اصحابهم فيُشفون ومنهم من يستصحبون معهم شيئاً من تراب المزار يعلّقونها في بيوتهم كحرزٍ حريز واذا دهمتهم نكبة صبُّوا منهُ قليلًا في مائهم تخفيفًا لاوجاعهم

وقد ابت البتول الّا ان تجازيهم عن ايمانهم هذا كما جرى لامرأة من زغرتا أُصيبت بصرعٍ مزمن فنالت الشفاء التامّ بعد ان قضت ليلةً بقرب مذبح السيدة. وكما حدث للشيخ سعد الماروني في اذار سنة ١٨٩٨ لمَّا اندلع لسان اللهيب متهدّدًا التهام كل غلّاته فما لحظ ذلك حتى التجأ الى حماية سيّدة القلعة ووعد بتقدمة مبلغ من المال لقاءها ان ردَّت عن حقولهِ هذه الآفة فخمدت النار فجأةً بمرأى من الجمع المتقاطر. وامور أُخرى كثيرة لو اردنا تفصيلها لطال بنا الكلام. وفي ما سبق كفاية لتعريف فضل سيدة القلعة رعانا الله بعين حمايتها وهدانا الى نيل السعادة بشفاعتها وصلواتها آمين

في سرّ صناعة الجوهر

لجناب الاديب يوسف افندي غنّام ثابت

قد وصفنا في مقالة سابقة (المشرق ٣ : ٥٨٣) الجوهر وخواصهُ واصنافهُ المختلفة. بيد أنّنا اثبتنا في ختام وصفنا ان سرّ صناعة الجوهر لا يزال دفيناً الى يومنا هذا

ولكن يا تُرى أيسوغ للمرء ان يحجم عن ادراك الوطر اذا حالت العوارض دون مرامهِ او ليست المصاعب باعثًا جديدًا يحملهُ على طلب غايتهِ

تريدين ادراك المعالي رخيصةً ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحلِ